المقياس: منهجية البحث وتقنياته/ ماستر 1

- المحاضرة الثانية -

في التأسيس النظري للمصطلحات:

البحث العلمي

تمهيد:

للبحث العلمي أهمية عظمى في عالمنا اليوم، وهو مصدر قوة للدول الكبرى، لذلك صار مجال تنافس، وميدان سباق نحو الاختراع والاكتشاف. إنه المحاولة الجّادة، الناقدة الدقيقة من أجل التوصل إلى حلول للمشكلات التي تقلق البشرية وتحيّرها، وتستعصي عن الحلّ/ وما من سبيل إلى حلها إلا بالبحث الذي يولد، وينمو نتيجة

أولا- تعريف البحث العلمي لغة واصطلاحا

أ/ في اللغة: البحث لغةً طلب الشيء في التراب مصداقا لقوله تبارك وتعالى: ﴿ فبعث الله غُرابا يبحثُ في الأرض ﴾ (من سورة المائدة/ من الآية 31).

قال الفراهيدي في كتاب العين : << البحث يدلّ على إثارة الشيء. والبحثُ لا يكون إلا باليد، وهو بالرِّجْل الفَحْص. والبحث : أن تسأل عن الشيء وتستخبر. ويُقال : بحث عن الخبر، أي : طلب عِلْمَه >> ، وقال أيضا:<< البحثُ طلبُك شيئاً في التراب، وسؤالك مستخبراً، تقول: أَسْتبحِثُ عنه، وأبحثُ، وهو يبحثُ بحثاً >> .

وذكر الشريف الجرجاني (ت 816) في كتاب " التعريفات ":<< البحثُ لغة : وهو التفحّص والتفتيش>>.

ب/ في الاصطلاح:

لم يتّفق الباحثون والعلماء على تعريف واحد للبحث العلميّ ؛ فهناك تعاريف عدّة نذكر منها: تعريف الشريف الجرجاني أذ يقول:<< هو إثبات النسبة الإيجابية أو السلبية بين الشيئين بطريق

الاستدلال>>. و عرّفه الدكتور علي جواد الطاهر بقوله:<< البحثُ طلبُ الحقيقة وتقصّيها، وإذاعتها في النّاس>>.

وقد أطنبت في تعريفه الدكتورة ثريا عبد الفتاح ملحس قائلة:<< إن البحث محاولة لاكتشاف المعرفة، والتنقيب عنها وتنميتها، وفحصها، وتحقيقها، بتقصٍّ دقيق، ونقد عميق، ثم عرضها عرضاً مكتملاً بذكاء، وإدراك لكي تسير في ركب الحضارة العلمية، وتساهم فيه مساهمة إنسانية حيّة شاملة>>.

وبسّط تعريفه الدكتور أحمد شلبي، فقال: << "البحث أو الرسالة" تقرير وافٍ، يقدّمه باحث عن عمل، تعهّده وأتّمه، على أن يشمل التقرير كل مراحل الدراسة، منذ أن كانت فكرة، حتى صارت نتائج مدوّنة، مرتّبة، مؤيدة بالحجج والأسانيد>>.

ولّما كان الهدف الأساسي للبحث العلمي هو التحري عن حقيقة الأشياء ومكوناتها وأبعادها ومساعدة الأفراد والمؤسسات على معرفة محتوى ومضمون الظواهر التي تمثل أهمية لديهم أو لديها ، ومما يساعدهم على حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الأكثر إلحاحا وذلك باستخدام الأساليب العلمية والمنطقية .

فقد عُرّف البحث العلمي بأنه : << الوسيلة الاستقصائية المنظمة التي يقوم بها الباحث في ميدان العلوم الإنسانية ولاجتماعية أو في ميدان العلوم الطبيعية والتقنية ، وذلك بإتباع أدوات بحث معينة ووفق خطوات بحث معينة وذلك من أجل الكشف عن الحقيقة العلمية بشأن المشكلة محل الدراسة والتحليل>>.

و بعبارة أخرى فإن البحث العلمي هو: << التقصي المنظم بإتّباع أساليب ومناهج علمية محددة للحقائق العلمية بقصد التأكد من صحتها أو تعديلها وإضافة الجديد لها >>.

ولعلّ أبسط تعريف للبحث أنّه << كلّ نشاط ذي منهج يهدف إلى التنقيب عن حقيقة ما ابتغاء إعلانها دون التقيّد بدوافع الباحث الشخصية أو الذاتية إلا بمقدار ما يُفيد في تلوين البحث بطابعه ويُعطيه من روحه التي تميّزه عن غيره >>، أو أنّه << كلّ نشاط ذي منهج يهدف إلى إنتاج معارف جديدة ترتبط بفهم الإنسان للظواهر الطبيعية التي تحيط به، ويؤدّي في النهاية إلى رفع قدرات الإنسان على التحكّم والسيطرة على هذه الظواهر>>

و واضح من التعريف أنّ الحقيقة هي غاية البحث، الذي يستمدّ ذلك من موضوعيّة الباحث التي يجب أن تكون مُنَزّهة عن الهوى الذاتي لذلك قيل:<< الحقيقة بنت البحث >>، وأنّ البحث هدفه زيادة

معرفة الإنسان في المجالات المعرفيّة التي تخصّه، ورفع قدرته على التكيّف مع بيئته واكتشاف الحلول للمشكلات التي تواجه المجتمعات والأفراد.

و تأسيساً على ما سبق ذكره ينبغي للباحث أن يتحلى بالصفات العلمية التي ذكرها "جاك برزان" (Jaques Barzun) في كتابه " الباحث الجديد"(The modern Researcher) و هي الدّقة في جميع مظاهر البحث، ومحبة النظام والتنظيم، والتحلي بالأمانة والمنطق، والشعور بالمسؤولية، والقدرة على التأمل والتفكير.

لا جدال اليوم في أن البحث العلمي سبيل إلى التقدّم الإنساني والتطور الحضاري، وباب واسع للدخول إلى ميدان التنافس بين الدول التي عرفت قيمته الكبرى بواسطة مؤسستها الرسمية، وكانت النتائج باهرة، عظيمة عند بعض الدول، وها هي دول أخرى تحاول أن تستثمر بقوة في مجال البحث العلمي لتستدرك ما فاتها، من أجل أن تواكب حضارة هذا العصر، وتتحوّل من دول مستهلكة إلى دول منتجة. تشارك في المنتوج الحضاري العالمي، لتكون لها كلمتها في القرار الأممي.

ثانيا- خصائص و مميزات التفكير العلمي

1/ مميزات التفكير

* مجرد : الابتعاد عن الميول و الأهواء.
* شمولي : دراسة الموضوع من كل النواحي و دراسة الاحتمالات و الظروف التي تؤثر فيه.
* قابل للتحقق: قائم على الملاحظة و استخدام المنطق و الاستدلال.

2/ خصائص التفكير العلمي:

- الموضوعية - المنهجية - العِلّية (السببية)

أ/ الموضوعية: أي دراسة ما هو كائن مع استبعاد الميول و الأهواء و الآراء المسبقة فالتفكير العلمي هو تفكير نقدي (التمييز و الضبط و المراجعة و الدقة و التفحص).

ب/ المنهجية: يمتاز التفكير العلمي بأنه يتألف من نسق عقلي منظَّم في ربط الحوادث و الظواهر المراد تفسيرها بظواهر أو أحداث أخرى في نفس النطاق مما يوفر الجهد و الوقت.

ج/ العِلّية (السببية): لكل ظاهرة سبب في العلوم، فكلما توفرت أسباب معينة في ظروف معينة فإنها تؤدي إلى أحداث معينة (فالنتيجة حتمية في العلوم الدقيقة و لكنها نسبية في العلوم الاجتماعية).

والسببية: يقصد بها الكشف عن العلاقات بين الظواهر و تفسيرها و ضبط التغيرات و تحليل النتائج

والأحكام المستخلصة من ذلك.

ثالثا- خصائص البحث العلمي

انطلاقا من التعريف السابقة يمكننا استنتاج خصائص البحث العلمي وفق الآتي:

*البحث العلمي بحث موضوعي .

* البحث العلمي بحث تفسيري لأنه يهتم بتفسير الظواهر والأشياء بواسطة مجموعة متسلسلة ومترابطة من المفاهيم تدعى النظريات .

* البحث العلمي يتميز بالعمومية في دراسة وتحليل الظواهر معتمدا في ذلك على العينات .

* البحث العلمي بحث منظم ومضبوط لأنه يقوم على المنهجية العلمية بمفهومها الضيق والواسع ، الأمر الذي يجعل البحث العلمي أمر موثوق به في خطواته ونتائجه .

رابعا- مقومات البحث العلمي

البحث العلمي هو أهم نتائج التفكير العلمي بمفهومه الضيّق و لكي يصبح أي عمل بحثا عمليا علميا لابد من توفر بعض المقومات و هي :

1- تحديد مشكلة البحث 2- التجديد و الابتكار 3 - إضافة معارف جديدة 4- أهمية موضوع البحث 5- أصالة البحث 6- إمكانية البحث 7- إستقلالية البحث 8- توفر مصادر و مراجع البحث.

خامسا- غرض البحث العلمي :

1/ الوصول إلى حقائق الأشياء و الظواهر.

2/ معرفة سر العلاقات التي تربط بين هذه الظواهر.

3/ زيادة المعرفة و استمرار التقدم العلمي و تطويره.

4/ مساعدة الإنسان على التكيف مع بيئته و حل مشكلاته و الوصول إلى أهدافه

سادسا-أنواع البحث العلمي :

هناك من يقسمها حسب مناهج وأساليب البحث المستخدمة إلى بحوث تاريخية ، بحوث وصفية ، بحوث تجريبية . و هناك من يقسم البحوث حسب طبيعتها ودوافع البحث إلى بحوث أساسية (بحتة) ، وبحوث تطبيقية .

والحقيقة، أنه يصعب أحيانا التمييز والفصل بين البحوث النظرية والبحوث التطبيقية ، وذلك للعلاقة التكاملية بينهما ، فالبحوث التطبيقية غالبا ما تعتمد في بناء فرضياتها أو أسئلتها على الأطر النظرية المتوافرة في الأدبيات المختلفة ، كما أن البحوث النظرية تستفيد وبشكل مباشر أو غير مباشر من النتائج التي تتوصل لها الدراسات والأبحاث التطبيقية من خلال إعادة النظر في منطلقاتها النظرية لتكييفها مع الواقع .

وفي الواقع أن هذان النوعان من البحوث يحملان في طياتها أنواعا فرعية متعددة يمكن أن نجملها فيما يلي :البحث العلمي التنقيبي واكتشافي للحقائق ،البحث التفسيري النقدي ،البحث الكامل ،البحث الاستطلاعي ،البحث الوصفي والتشخيصي ،البحث التجريبي .

سابعا- عناصر البحث العلمي :

إن البحث العلمي يتكون من أقسام أو عناصر ثابتة قارة وهي : المقدمة وتتكون من عدة عناصر أساسية، وليس مجرد فقرة أو فقرتين ، وكذلك نجد المتن و هو الجذع الرئيسي للبحث، ونجد الخاتمة التي تعدّ نتاج البحث المُتوصل إليها ، ثم قائمة المراجع ، وأخيرا الفهرس.

وهناك أجزاء حسب الضرورة و الحاجة وطبيعة البحث : الملاحق ، والملخص.

ثامنا- الأسلوب العلمي وأهميته في البحث

تسعى العلوم جميعها إلى تحقيق أهداف العلم الثلاثة، التفسير، التنبؤ، والضبط، ينبني الأسلوب العلمي الذي يتميّز بالدقة والموضوعية، وباختبار الحقائق اختباراً منطقياً، مع العلم أن الحقائق العلمية ليست بالضرورة حقائق ثابتة، بل حقائق بلغت درجة عالية من الصدق.

و في هذا المجال تبرز قضية منهجية يختلف فيها الباحث أو العالم في الجوانب النظرية، عن الجانب الآخر التطبيقي؛ فالأول(النظري) لا يقتنع بنتائجه حتى يزول عنها كل شك مقبول، وتصل درجة احتمال الصدق فيها إلى أقصى درجة، أما الآخر(التطبيقي)، فهو يكتفي بأقصى درجات الاحتمال، فإذا وازن نتائجه فإنّه يأخذ أكثرها احتمالا للصدق.

ويعتمد الأسلوب العلمي بالأساس على الاستقراء الذي يختلف عن الاستنباط والقياس المنطقي، فهو يبدأ بالجزئيات ليستمد منها القوانين في حين أن القياس، يبدأ بقضايا عامة يتوصل منها إلى الحقائق

الجزئية، وليس يعني ذلك أن الأسلوب العلمي يغفل أهمية القياس المنطقي، ولكنه عندما يصل إلى قوانين عامّة يستعمل الاستنباط والقياس في تطبيقها على الجزئيات للتثبّت من صّحتها، كما يستخدم الطريقة الاستنتاجية التي تتمثل، في استخلاص قانون أو ظاهرة عامّة من مجموعة ظواهر خاصة.

ويتضمن الأسلوب العلمي عمليتين مترابطتين هما، الملاحظة و الوصف، وذلك لأنّه إذا كان العلم يهدف للتعبير عن العلاقات القائمة بين مجموع الظواهر المختلفة، فإن هذا التعبير يكون في أساسه وصف، وإذا كان هذا التعبير يمثل الوقائع المرتبطة بالظاهرة، فلا بد أن يعتمد على الملاحظة فيختلف الوصف العلمي عن الوصف العادي. فالأول لا يعتمد على البلاغة اللغوية، بل هو وصف فنّي، ذلك أنه عند قياس النواحي المختلفة في ظاهرة أو عدّة ظواهر، فإن هذا القياس ليس إلا وصفاً كمياً، يقوم على الوسائل الإحصائية باختزال مجموعة كبيرة من المعلومات إلى مجموعة قليلة من الأرقام والمصطلحات الإحصائية.

أما بالنسبة إلى الملاحظة العملية، فهي تمثل الملاحظة التي تستعين بالمقاييس المختلفة، وهي تقوم على أساس ترتيب الظروف ترتيباً معيناً بحيث يمكن التكرار الذي له أهمية كبيرة من حيث الدقة العلمية، فهو(التكرار) يساعد على تحديد العناصر الأساسية في الموقف المطلوب دراسته وترك العناصر التي تكونت بالصدفة، كما أن التكرار ضروري للتأكد من صحة الملاحظة فقد يخطئ الباحث نتيجة الصدفة أو لتدخل العوامل الشخصية، مثل الأخطاء الناجمة عن الاختلاف في دقة الحواس والصفات الشخصية للباحث، كالمثابرة وقوة الملاحظة، كما يفيد التكرار أيضا في التأكد من دقة ملاحظة شخص آخر، أو في إعادة البحث مرة أخرى بغرض التأكد من النتائج.

ثامنا- خصائص الأسلوب العلمي

يتميز الأسلوب العلمي عن بقية الأساليب الفكرية بعدّة خصائص أساسية أهمها:

1/ الموضوعية : وتعني أن الباحث يلتزم في بحثه المقاييس العلمية الدقيقة، ويقوم بإدراج الحقائق والوقائع التي تدعم وجهة نظره، وكذلك الحقائق التي تتضارب مع منطلقاته وتصوراته، فالنتيجة يجب أن تكون منطقية ومنسجمة مع الواقع ولا تناقضه، وعلى الباحث أن يتقبل ذلك ويعترف بالنتائج المستخلصة حتى و لو كانت لا تتطابق مع تصوراته وتوقعاته.

2/ استخدام الطريقة الصحيحة و الهادفة: ويقصد بذلك، أن الباحث عندما يقوم بدراسة مشكلة أو موضوع معين، ويبحث عن حلّ لها، يجب أن يستخدم طريقة علمية صحيحة وهادفة للتوصل إلى النتائج المطلوبة لحل هذه المشكلة، وإلا فقدت الدراسة قيمتها العلمية و جدواها.

3/ الاعتماد على القواعد العلمية: يتعيّن على الباحث الالتزام بتبني الأسلوب العلمي في البحث عبر احترام جميع القواعد العلمية المطلوبة لدراسة كل موضوع، حيث إن تجاهل أو إغفال أي عنصر من عناصر البحث العلمي، يقود إلى نتائج خاطئة أو مخالفة للواقع.

ومن هنا، فإن عدم استكمال الشروط العلمية المتعارف عليها في هذا الميدان، يحول دون حصول الباحث على النتائج العلمية المرجوة.

4/ الانفتاح الفكري: ويقصد بذلك، إنّه يتعين على الباحث الحرص على التمسّك بالروح العلمية والتطلّع دائما إلى معرفة الحقيقة فقط، والابتعاد قدر الإمكان عن التزمّت والتشبّث بالرؤية الأحادية المتعلقة بالنتائج التي توصل إليها عبر دراسته للمشكلة. و يجب أن يكون ذهن الباحث منفتحا على كل تغيير في النتائج المحصول عليها والاعتراف بالحقيقة، و إن كانت لا تخلو من مرارة.

5/ الابتعاد عن إصدار الأحكام النهائية: لا شك أن من أهم خصائص الأسلوب العلمي في البحث التي ينبغي على الباحث التقيّد بها، هي ضرورة التأّني وعدم إصدار الأحكام النهائية، إذ يجب أن تصدر الأحكام استنادا إلى البراهين و الحجج والحقائق التي تثبت صحّة النظريات والاقتراحات الأولية، أي بمعنى أدق، ضرورة اعتماد الباحث على أدّلة كافية قبل إصدار أي حكم أو التحدّث عن نتائج تمّ التوصل إليها.

ببليوغرافيا المحاضرة

- المصحف الشريف برواية ورش عن نافع

أولا- المصادر:

أحمد بن فارس (أبو الحسين):

- معجم مقاييس اللغة، ج 5، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: بيروت، (د.ت).

الفراهيدي (الخليل بن أحمد):

- ترتيب كتاب العين، ج 1، وج 3،تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، وتصحيح الأستاذ أسعد الطيب، مؤسسة الميلاد: تيزهوش- قم (إيران) 1414 هـ ، ط 01.

الجرجاني (علي بن محمد الشريف):

- كتاب التعريفات: مكتبة لبنان: بيروت، 1985.

ثانيا المراجع بالعربية

بدر، أحمد: (د)

- أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات: الكويت، 1973.

بدوي، عبد الرحمن (د):

- مناهج البحث العلمي، وكالة .المطبوعات: الكويت، ط 03،1977 .

ثريا عبد الفتاح ملحس (د.ة):

- منهج البحث العلمي للطلاب الجامعيين، دار البشير: عمان، ومؤسسة الرسالة: بيروت، ط 6 ، 1998.

حسن عثمان:

- منهج البحث التاريخي، دار المعارف بمصر: القاهرة، ط 2، 1965.

جواد الطاهر علي (د) :

- منهج البحث الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر :بيروت، ط 03، 1979 .

شلبي، أحمد (د) :

- كيف تكتب بحثا أو رسالة، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة، ط 06، 1968 .

عيسى عسافين:

- **منهج البحث العلميّ في المكتبات و المعلومات، أملية جامعية، جامعة دمشق.**

فاروق حمادة:

- **منهج البحث في الدراسات الإسلامية تأليفاً وتحقيقاً، دار القلم: دمشق، ط** 1، 2000.

محمود سليمان ياقوت:

- **منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع: الإسكندرية،** 2003.

ثانيا المترجمة إلى العربية

آلار، ميشال:

- **في المنهج العلمي وروح النقد، دار الإنسان الجديد: بيروت،** 1974

فلاديمير كزرناغوف:

- **مناهج البحث العلمي، ترجمة: د. علي مقلد، دار الحداثة: بيروت، د.ت.**

روزنتال ، فرانتز:

- **مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة: أنيس فريحة، الدار العربية للكتاب : بيروت،** 1983.

شومبيه، جاك:

- **أصول التوثيق، ترجمة أنطوان عبده، منشورات عويدات: بيروت، باريس، ط** 02، 1982

ثالثا- باللغة الأجنبية

BEAUD, M. :
L'Art de la thèse, Comment préparer et rédiger une thèse de doctorat, de magister ou un mémoire de fin de licence, La Découverte, Paris, 1985, rééd. Casbah, Alger, 1999.
FRAGNIERE, J.P:
Comment réussir un mémoire, comment présenter une thèse, comment rédiger un rapport, Bordas, Paris, 1986.